هـــَـذِه أنـَـا

اسم الكتاب: هذه أنا

المؤلف: - جيهان إسماعيل

تصميم الغلاف: - محمد عبد القوي مصيلحي

رقم الإيداع: 2014 / 19259

الترقيم الدولي: 978 _977_6471_ 35_1

رقم الطبعة: - الطبعة الأولى/2015

مـــديـــر الـــنشـــر	مـــــديـر التـــوزيع
فـتحي الـمزين	منال المزين
01282288058	01270982908

ليان
للنشر والتوزيع

جميع الحقوق محفوظة للناشر

وأي اقتباس أو تقليد، أو إعادة طبع أو نشر دون موافقة كتابية يعرض صاحبه للمساءلة القانونية، والأراء والمادة الواردة وحقوق الملكية الفكرية بالكتاب خاصة بالكاتب فقط لا غير.

العنوان: - 6شارع التحرير بالدقي، بجوار محطة مترو البحوث، الدور 19، شقة رقم2002.

البريدالإلكتروني:

layanpub@gmail.coml-layanpub@yahoo.com

هـَـــذِه أنَـــا

رواية

جيهان إسماعيل

لبان
للنشر والتوزيع

الإهداء

أهدي رواية "هذه أنا "إلى كل من ساهم في كتابة حروفها وإلى أمي التي رسمت بمنحها الحرية كمعنى لحياتي وإلى كل أنثى تحترم وتقدِّر ذاتها وإلى كل النساء في أبجدية العشق والحرمان من الأمل والألم.. وإلى كل عاشق سافر بحروفه إلى مدينة العشق ولم يعُد ،الرواية بها بعض الخيال من الذاكرة ولكنها من أعماق واقع مرير ومعاناة حقيقية.. ربما تحدث للعديد من البشر وتتشابه الأحداث لكننا دائمًا نبحث عن بريق لبزوغ الشمس في يوم جديد.

الكاتبة \جيهان اسماعيل

أتذكرين؟ تلك الليالي الصمّاء وعمر السّراب؟ أقسمت بالنسيان.. لا رجوع.. لا عودة.. لا عتاب..

طفلتي الصغيرة..

عزيزتي.. حين تغيب الشمس نشعر بها؟ لا.. مهما كان العمر فقلبي نابضٌ لها..

عزيزتي.. كوني حذرة، إن اقتربت احترقت.. لا أستطيع أن أكَذِّب نفسي برغم قلقي إلا أنني حينما أراه سعيدًا أرى العالم من حولي يبتسم، وحينما أراه حزينًا أرى الحزن في كل الأشياء..

أقسم بلا كذب أو رياء..

عزيزتي.. كوني كما تشائين.. كما تحبين.. إنه حقًّا الحب.. إن جاء لا وقت له.. إن أتى لا فرضٌ ولا مندوبٌ فعلُه.. إن حدث فلا حدث بعده.. هكذا هو أسمى المعاني وأعلى الأماكن.. إذا سكن كان الساكن الحب..

قصة "هذه أنا"..

البطل في تلك القصة لسانه هو عيناه. البطلة عائمة، سابحة في بحر أمواجه العاتية..

قصة الحب المستحيل.. هي للحب فقط.. الحب من أجل الحب..

الإحساس بالرّعشة عند التلاقي.. البسمة الصامتة لكل الجوارح دون معرفة السبب هي الكلام الكافي..

أميرة في قصر العُشّاق بالسلام..

سلطان في دنيا يقظة الأحلام..

أميرة:

- كم أتمنى لو يعود بي الزمان لألتقيك..

سلطان:

- نظرةٌ فيها كثير الكلام..

أميرة:

- حينما تبتسم، أملك الكون بيدي..

سلطان:

- فات أوان الحب والمشاعر ومرّت السنوات..

أميرة:- يفنى الإنسان، لكن يبقي الحبّ بكل ذكريات الأماكن..

سلطان:

- اعذريني.. صعب، بل مستحيلٌ أن أغادر..

أميرة:

- أعلم.. وأشعر بثقل همومك.. لك كل العذر..

سلطان:

- تمنيت لو أتى عشق أخذني من الدنيا إلى جنته وناره وعذابه، حلوه ومُرِّه، حقيقته وسرابه..

أميرة:

- هوّن عليك.. أشعر بأن الأمل معك باقٍ وأنت معي.. شاكٍ دون كلام..

سلطان:

- أراكِ.. فأغار عليكِ من رائحة البنفسج.. لا أمل، الحديث عنكِ مع نفسي.. هل تصدقيني إن قلتُ أراكِ في أحلامي؟؟

أميرة:

- نعم.. لأنني أراكَ كلَّ أحلامي وقصائدي وأشعاري..

سلطان:

- لكن نحن في دنيا، وهناك من لا ذنب لهم.. هناك قيود.. لا أبالغ إن قلت سدود وجسور..

أميرة:

- أراها جسورًا بلا حراس.. أراها موانع تبقيني على قيد الحياة معك.. في سرور..

سلطان:

- عذرًا.. كم أخشى من الغد.. هل تفهميني؟

أميرة:

- غدًا لا نملكه لنتكلمَ عنه.. من يعلم؟ من يدري؟ أستحلفك.. أن تتركني أحيا.. بكلماتي الصامتة.. يملأها خوف، شوق، ألم، فرح، حزن، سراب، عذاب.. كل المعاني لأنك هنا..

سلطان:

- نظرة طويلة.. صعبٌ تفسيرها..

أميرة تحاكي نفسها:

- ما معنى تلك النظرة؟؟ هل هو مجرد إحساس سيمر مع الأيام؟؟ أم حسرة الليالي؟؟ أم هو معنى إذا أتى لا تسأل عن السبب؟؟ ما زالت القصة لم تنتهِ بعد.. ومن يعلم كيف تنتهي؟؟ وهل يأتي يومٌ ويبتسمون؟؟ يذهبون إلى قَصْر العُشّاق بالكلام دون سلام؟؟ من يدري؟؟

أميرة لها صديقة تسمى سلمى..

علمت أميرة من بعيد أن حبيبها في مشكلة، وأنه مؤرق الفكر والعقل..

إنها تخشي عليه الكثير، وكم تتمنى أن يهدأ باله ويطمئن قلبه..

تشعر بأنّ كل من حوله في وادٍ، وهو في وادٍ آخر.. تشعر أنها هي الوحيدة التي تشعر بآلامه، ربما يصور لها الحب ذلك.. تتمنى أن تحاكيه، لكن عندما رأته في الصباح وسط البساتين هرب الكلام، بل رحل بلا عودة.. لكن....

حديثها مع نفسها طال وطال.. لا تعلم أميرة لماذا ترحل الكلمات ويعجز اللسان عن النطق إذا رأته أمامها.. كم تشعر بأن لا أحد يشعر به.. إنها مشفقةٌ عليه من كل الأنّات والآلام..

قالت لها سلمى:

- وماذا بعد يا أميرة؟ ألا تعلمين أن هذا مستحيل وربما هو لا يشعر أصلًا بوجودك؟ بل ربما ينظر إليك كخادمة فقط، ولا تنسيْ أنه كثيرًا ما يفكر بعقله، فهو رجل عملي.. يشغله عمله و و و....

قالت أميرة:

- أنا لا أفكر في ماذا بعد..

ومازال القلم ينتظر والسطور آتية..

اليوم التالي.. أميرة حائرة.. ليس من طباعها غدرٌ أو خيانة.. تعاتب نفسها بشدة وتحاسبها حتى أنها تأبى النوم.. ومن شدة السّهر والعتاب تؤلمها رأسها كثيرًا لكنها تقول:- لماذا وكيف حدث ذلك؟ ولماذا ذلك بالذات؟ يا ليتها لم تره وتتحدث معه.. ثم في ذلك الليل وذلك الضوء الخافت وتلك اللحظات المعاتبة، يحدث شيءٌ وهو أن تسمع صوته وكأنه لحن وفاء، وتغني لها السماء.. ويضطرب قلبها ثم تعود.. ويأبى النوم مرةً ثانيةً.. لكن تلك المرة من فيض السعادة..

أميرة تعيش معذَّبة.. ما بين لحظات السعادة التي قَلَّت بحياتها.. وبين.. وبين الكثير والكثير من أسباب المستحيل.. أميرة تتساءل:- هل للحب عمرٌ وزمنٌ وصورةٌ معينة؟؟

أقول لها الحب هو كل الأعمار والأزمان والصور، حينما يأتي لا تتركيه يذهب بعيدًا..

لكن.. إياك أن تظلمي أحدًا حينما تعشقين، فمن يحب أبدًا لا يظلم، أبدا لا يكره، أبدًا لا يخون.. إنه الحب.. ثم تعَبِّر سلمى عن أسفها فتقول:- هل الحب الصامت بتلاقي العينين حرام أم حلال؟ تقول أميرة:- أقسم لك صديقتي إنني أحبّ الله ورسوله، وكثيرًا ما أعذّب نفسي وأناجي ربّي أن لا يؤاخذني فيما لا أملك يا سلمى.. قد عاهدت نفسي.. أن لا أُعْلِمَه، وأحبه فقط لنفسي.. كل ما أتمناه أن أراه سعيدًا فرحًا.. فإذا غَنّى.. غنّت الدنيا.. وإذا رقصت عيناه فرحًا فرِحت الدنيا من حولي.. لا أرجو منه شيئًا ولا أنتظر جوابًا.. إني أحبه في الله.. فيا الله! إما أن ترحمَني بالرحيل أو بالموت دون سواه، أو تنسيني إياه.. كثيرًا ما يخون الإحساس بالحب.. إذا كان أحدٌ منهم قسوته.. وعزيمته.. وقوة شخصيته هي عنوانه.

لكن أميرة ترى حبيبها بعين الحب فتراه بكل الأحيان.. قسوته، حنانه، عزيمته، كلامه، شدته، لينه، والركن الغائب عن محبيه.. الخافي.. هي فقط تراه، تشعر به، تراه عاشقًا محبًّا.. لكن تلك الأقدار معنى خفيّ للأسرار.. يحمل هموم الآخرين.. فمن يحمل همّه؟ ويفكر في الآخرين فمن يفكر فيه؟

من يشعر به إذا تألم؟ من يحزن لحزنه ويفرح لفرحه؟ من يسمع دقات قلبه حين يئِنّ مِنْ ثقل الهموم؟ لكن أميرة تشعر بأنه حقًّا لها.. أن تكون هي كل هذا وما زالت الأحداث وستارها في طيّ الأوراق..

تستمر أميرة تحكي أن قلبها ليس بيدها لهذا تحاول التحكم حتى بالنظرات!!!

في ذلك اليوم رأتْ أميرة حبها الصّامت المستحيل وسط الورود الحمراء، وبالذات بجوار وردة حمراء كبيرة.. وبعدما رحل من جوارها ذهبت أميرة تحاكيها:

أيتها الجميلة الحمراء.. ليتني أنا أنتِ! فأنتِ تنظرين إليه وتكلمينه.. أيتها الجميلة الحمراء.. أهديك سلامًا وأشواقًا إليه.. إنْ نظرتِ إليه أبلغيه سلامي.. لكن يا ترى هل يتكلم معكِ مثلما أفعل أنا؟ هل يشكو إليكِ قلبَه مثلما أفعل أنا؟

أميرة حائرة.. لِمَ الصمت في حضوره ولِمَ الكلام عنه في سطوري؟ حقًّا كما يقولون للحب: أنت سكن من لا سكن له، وهداية الضّال وبارقة الآمال المستحيلة.. ما زال القلم ينتظر كلمات عاشقة بالعيون كي لا تنام الجفون..

ما أجمل الحب الصامت في محراب العاشقين!

حقًّا إحساسٌ رائعٌ أن ترى من تحب وهو لا يعلم أنك تحبه، وتتهامس العينان ذوبانًا دون أن ينطق اللسان. أميرة تعود من دنيا الشقاء والخيانة والآلام إلى دنيا الخيال والعشق والوفاء.

اليوم رأت أميرة تلك الوردة الحمراء الجميلة، ألقت عليها التحية في صباح يوم رياحُه قويةٌ وعاصفته شديدةٌ، ودائمًا تدور الدوائر وتمر السّاعات اليومية لها وهي تراقب فقط عينيه، همساته، عباراته التي تَدُلّ ولا تَدُلّ، تعترف ولا تعترف..

كثيرًا وكثيرًا.. إذا نظرت بعينيه تهرب وتهرب، بل تخشى كل من حولها أن يعلموا أو يشعروا بما تفيض به من مشاعر وإحساس.. إذا أتى مقبلًا إليها أدارتْ عيناها، وإذا تحدث معها أو عنها ترتعش يداها من فرط سعادتها، حتى لو كان الكلام في طيّه ملامٌ أو عتاب.. هي من أجادت لغة الحديث مع كل ما حولها من أشياء لا تستطيع حتى البوح بما في قلبها من إحساس بها.. إنها تكلم الملعقة التي يأكل بها والأطباق والمقاعد والأزهار.. كل ما هو جامد.. لأنها تعلم أنهم يحافظون على سرها ولن يخونوها كالبشر، لأنها كثيرًا ما عانت معنى الخيانة..

والسطور ما زالت تنتظر!

في ذلك اليوم عاتبت أميرة نفسها وكاد الشوق والعناد والتحدي يقتلونها..

تكاد الكلمات تطير بجناح العصافير إذا رأته أحيانًا مهمومًا وأحيانًا سعيدًا وأحيانًا شاردًا، وتتساءل:- من أين أتيتِ بهذه الشجاعة أن تنظري إليه في تلك اللحظة؟

سألتها سلمى:

- وماذا عشقتِ فيه؟

قالت أميرة:

- عشقتُ تلك الروح المكبّلة بهموم وثقل الحياة..

سلمى:

- لكنه لا يشعر بوجودك أصلًا.. إنك تسكنين قصره ولا مكان لك في قلبه أو عقله، تأتين أو تذهبين.. لا يشعر حتى بتلك النظرة أو ثقل الكلام إن نظرت إليه..

أميرة:

- إن كنتُ ساكنة قصره فلأنه فيه، وإن كنت أحاكي تلك الوردة الحمراء في كل صباح فلأنه يمر بجوارها، تتنفس عطر روحه الجميلة.. ولكن ماذا بعد؟

ما أروع تلك اللحظات التي قضتها أميرة مع حبها النابض الساكن، المتكلم الصامت!

أتيحت لها الفرصة أن تتكلم معه في ذلك اليوم، ومن فرط فرحها وشدة سعادتها التي لا تعلم لها سببًا، نسيت كل ما تحفظ فيه أيامًا لتحكيه في لحظة.. أسكتها خوفها.. أسكتتها دقات قلبها المرتجفة.. فكانت تخطف بعض الكلمات مرة وبعض النظرات المُحبّة مرة أخرى، لكن أرهقها العتاب والتفكير، فهي لا تنام من

تعذيب الضمير، ولا يغمض لها جفن من هول المصير.. لماذا تلك البسمة على الشفاه؟

سؤال تكرر على لسان أميرة كثيرًا، وكثيرًا ما أردات أميرة أن ترحل وتترك القصر لتهرب من عذاب القدر لها.. عذاب الضمير وعذاب السعادة بقرب من تعشق.. فسألته الرحيل فقال لها..

سلطان:

- أقنعيني لماذا ترغبين في الرحيل حتى أوافق، وأجابته قائلة:- اشتقت للماضي فأحب أن يعود لي وأعود إليه.. أخْفَتْ عنه الحقيقة وكم كانت حائرة العينين.. حينما اقتربَتْ.. دَنَتْ ودنا.. سأل وأجابت.. سألت فأجاب..

سيدي:

- أراك متغيرًا.. متحيّرًا.. أراك بوجهٍ محبٍّ مبتسم، كأنك تحب.. أو لأنها تعيش تلك اللحظات تتخيل

ويخيّل إليها أنه كذلك.. إنها تتألم إذا تألم، تصمت إذا تكلم، ومنه أرادت أن تتعلم.. تسجد لله شكرًا أنها ما زالت تنظر بعينيها اللامعتين إلى تلك الصورة الرائعة الجمال.. تكلمت سلمى لتسأل عن المحبة بالصمت..

سألتها سؤالًا آخر توقعته.. أميرة ماذا عن أخبارك مع زوجته وما إحساسك بها، قالت أميرة:- إن كان عذاب الحب أتحمله مدى حياتي فعذاب ظلمي لها بحبّي هذا يكاد يقتلني كل ليلة آلاف المرات، لكن عزائي يا سلمى أنه لا يعلم ولن يعلم، فلا خوف ولا ظلم ولا ظلام.. ولا سلام لا كلام..

توقفت أميرة عن الحديث أيامًا وأيامًا ولم تكلم سلمى برغم كثير التطورات التي أدخلت السعادة والمرح والحياة بكل معانيها الجميلة على قلبها، ولكنها لم تنم أو تغفل عن تأنيب الضمير الحيّ.. ولأنها كثيرة القلق والتردد أخذت هدنة مع سلمى حتى تصل إلى حلول وسطيّة.. فمثلًا شعرت دون أن يتكلم معها أنه

يغار عليها ويخاف عليها وفرحت بهذا.. وشعرت بالحرمان النفسيّ والمعنوي لروحه الحائرة، وقلبه المفعم المليء بالعطاء دون انتظار لرده.. تشعر بأنه هرمٌ من أهرامات الجيزة بمصر مع فارق أنه هرمٌ نابضٌ له قلب وعقل ومشاعر وأحاسيس.. بالأمس تكلمت أميرة مع سلمى فماذا قالت يا ترى؟

أميرة:

- أنا حائرة يا سلمى.. ما عاد لي أن أبقى، إن لم أعد فأنا لم يعهد علَيّ أحد من قبل غدرًا، أو خيانةً أو كذبًا، وأنا لا أقول إنني ملاك في زيّ إنسان، لكن يرعاني ربي ووهبني حفظ الأمانة والصدق مع نفسي فيما أملكه ومع الآخرين، ولي مع معاملتي بالآخرين رحلة وتاريخ يشهد به من يعرفني لمن لا يعرفني فكيف أتى يوم وأضيعه أو أهدره؟

أميرة تذهب إلى تلك الوردة الحمراء تشكو إليها وتقول:- أبلغيه أني هنا أنتظر.. قولي له عيناي تختبئان

فرحًا من لقياه تخشى الناظرين.. قولي له وقولي، ولا تبخلي بعطرك عليه.. حتى كانت اللحظة وتقابلت العيون.. وتكلّم القلب وشكا حيرته.. يا للكِ من سعادة تفيض منها العيون رعشة تملأ كل هذا السكون! كانت تخشى أن تكون أو لا تكون.. قالها بعدما جُنّ بها الجنون.. معقولٌ هذا أم هذا اللامعقول؟؟ منذ متى التقينا؟ أيام أو شهور أو سنوات فيها تألمنا.. تعذبنا.. تكلمنا..

لقد حكى وتكلم سلطان بما في نفسه، وكانت كلمات ما أجملها! ما أعذبها! ما أروعها! هل كانت الدنيا تأبى من كل العمر الماضي أن تعزّ هذا اللقاء؟!

بدأت الحياة يدبّ فيها روح ونبض بعدما مات الشعر في زمن كثر فيه الشعراء..

قالت أميرة لسلطان غرامها عن ما يدور في خاطرها وتحدثا دون الشعور بوقت أو ملل أو كلل.. وكأن الدنيا

توقفت عند تلك اللحظات لكليهما.. حتى عن عذاباتها مع كتمان الإحساس

لم تخفِ برغم عهدها.. أقسمت على عهد الحب من أجل الحب..

سلمى:

- ماذا بك اليوم؟ هل أنت مريضة؟ عيناك ذابلتان، غائبة عنك الابتسامة.. ماذا حدث؟

أميرة:- أنا لست مريضة، ولكني حزينة لأنني لم أره أو أتكلم معه، ولكن كل ما حولي سألته عنه فأجاب:- حائر مثلك.. مشتاق لرؤيته..

سلطان:

- أميرة أنا لن أكذب عليكِ وأقول إني عاشق ولكني "أحبكِ" وأحب منك الوضوح، أنا لا أحب الغموض،

صحيح أنا لم أصل لحد العشق لكني أحبكِ ولا أعلم سببًا لهذا وكيف حدث؟ ولماذا؟

تنظر إليه أميرة بعينيها اللامعتين كلما رأته وتسكن الكلمات، لكن تقول:

- ربما تجدني لا أقول ولا أتكلم لكني أشعر بأنك الجنة في الأرض.. النجم في السماء..

ثم تكمل على استحياء:

- إنها روحانيات.. لا أبالغ إن قلت تلاقت الأرواح والعيون في آنٍ واحد ومكانٍ واحد.. ماذا تفعل حين تشعر بأن الظمأ كاد يقتلك؟ ماذا تفعل عزيزي القارئ إن شعرت أنك تطير بأجنحة حبيبك؟ وما معنى أن تشعر بغياب كل المسافات وزوال ظلام الليل ودفء الشتاء؟ هل تترك الحياة وتعود إلى دائرة العادي والاعتيادي؟

سلطان:- أراكِ حائرة لذا إني خيّرتكِ فاختاري..

أميرة:

- مالي أراك وكأنك بعدما جعلتني أعود بشريان الحياة تخيّرني ألا أعود؟! كلامي الأخير ما بيدي أن أعود أو لا أعود..

سلطان:

- هل أنتِ خططتِ ورتبتِ لذلك الموعد واللقاء؟ هل حدث بيننا ما نخجل منه؟

أميرة:

- لا.. لم أعلم.. وسألت نفسي كثيرًا لماذا أنتَ ولِمَ أنتَ؟ ومن كل الأسئلة وجدت جوابًا واحدًا.. أنكَ أنتَ.. أنتَ من كانت الدنيا تُبقيه وتحتفظ به إليّ بعد رحلة من العذاب معها والشقاء.. والفرح والهناء.. بالقمر ونجوم السماء تلك الأشجار تهتزّ فرحا إذا تلاقينا..

أميرة تعاتب نفسها:

- أحبابي.. لا تلوموني إن عرفتم يومًا أن العاشقة لم تكن تعلم.. أو خطرَ في بالِها، أو حتى اللمحات أن هذا سيحدث..

أميرة تحدث سلمى:

- هنا يا سلمى يسكن ملاكي الحائر هذا القصر هنا.. يتكلم ويصمت هنا، يفرح ويتألم هنا، يغضب وكثيرًا ما يغضب ويثور هنا، يقف ويجلس هنا، يتحرك ويسكن..

هل تعلمين سلمى أنني أتحدث لأوراق الشجر أكثر مما أتحدث إليه، لكني معها أبعث إليه بكلماتي، وعباراتي التي لا أملك سواها تخفف عنه بعض آلامه..

بالأمس التقتْه غضبان ثائرًا.. فرآها الناس شاردة الذهن صامتة.. سألوها ماذا بك؟ لم تعرف إجابة حتى هي سألت نفسها ماذا بك؟ ولماذا هذا الغياب؟

أميرة:

- أنت جعلتني أعود كما كنت..

سلطان حاول التقرب منها ولمس يديها وتركته وهي تعلم ماذا تفعل.. تلك اللمسة أذابتها، وغاصت في أعماقها.. أجابت أميرة:- يا ملاكي.. اجعلني أراكَ كما رأيتكَ وأحبكَ على طريقتي.. اتركني أراكَ بعيوني.. أنت لا تحتاج إلى جسدٍ بلا روح.. لا تحتاج أصلًا إلى جسد.. حبيبي أريدك أن تراني فأراك.. مكاني ومكانتي هي غايتي، لا أنتظر ولا أفكر في غير ذلك..

سلطان:

- عزيزتي.. ولكن هذا مكمّلٌ لهذا، أنا لم أطلب سوى لمسة يديك ونظرة من عينيك..

أميرة:

- لن تزيد من حبي تلك اللمسة.. عذرًا ملاكي.. حتمًا ستراني كما أحب.. أستحلفك بكل غالٍ.. لا تحاول.. لا تجادل..

مبدأ الحب هو تلاقي الأرواح لا تلاقي الأجساد، تفترق الأبدان وتجتمع القلوب فتذوب وتذوب، في الأيام الثلاثة الماضية غضبت أميرة وثارت بداخلها ثورة قاسية ومن كل الأسباب هو كان كل الأسباب برغم الكثير من الأسباب..

غابت عن رؤياه يومًا أو اثنين كانا بمثابة سنوات وسنوات، لكنها كانت متعمدة لتختبر قلبها إذا أتت الرياح العاتية يومًا لتعصف بقلبها هل تتحمل وجع البعاد وألم الفراق أم ماذا؟؟ وعانت الكثير والكثير وشعرت أن قلبها يتألم، يئنّ، تراه حزينًا ولكن ماذا تفعل؟ كيف تعود وكيف السبيل؟ لا تدري..

أميرة:

- أوحشتَني عدد حبات المطر.. بعدد رمل الصحراء الشرقية والغربية.. بدونك أشعر بغربةٍ قاتلة، ومن غيركَ أشعر بوحدةٍ موحشة.. لكنه قدر قُضِيَ وفُرِغَ منه..

سلطان:- وفي قمة الشوق في الحديث حبي إليك سيكون ناقصًا إن لم أهمس بأذنيك وأقبل شفتيك.. أريد أن أشم رائحتك.. عطرك.. بلسم شعرك.. وحنين شعرك.. أريد أن أقبّل يديك وأمسكهما وأتمسك بهما حتى آخر العمر، فأنا عشقي يكتمل بهذه الطريقة.. حتمًا أنظر في عينيك أراك فيهما.. تلك الابتسامة الهادئة.. "ابتسامة الموناليزا " تسحرني، وتلك النظرة بعد حديثي هذا تغضبني فلا تنظريها..

أميرة يطول بها النظر إليه وهي حائرة بين السؤال والإجابة، بين الرفض والإمالة، بين القلب والعقل، بين الحركة والسكون، بين الإرادة واللاإرادة، المعقول واللامعقول.. ولَمْ يطل شرودها كثيرا حتى أفاقت،

وصوت الماضي يناديها:- أتذكرين الكرامة وعزة النفس والكبرياء واللاانحناء؟ كلها معانٍ أنتِ هي.. وهي أنتِ.. فلا بأس أو يأس مع حب الكرامة العذراء.. وعشق بجنون الكبرياء.. هكذا أنتِ يا مسك حياتي وعطرها الساكن بأضلعي..

أجاب سلطان:

- في لقاءٍ آخر أنا لا أستطيع أن أستمر بهذا الحب النابض بالقلب والعيون.. لا أحتمل ولا أستطيع.. فلنفترق وأفضل أن أنسحب بهدوء، واحترامي لطريقتك.. قالها دون تردد أو هوادة أو رأفة بقلب العذراء.. وحينها أميرة منعت دموعها أن تنزف أمامه، منعها كبرياؤها أن تضعف أمام ضعفها الوحيد أو تبكي، فأجابت بصوت منخفض ولسان متلعثم:- كيفما تشاء.

ذهب عنها.. تركها.. وأنهى الحديث بطريقة راقية متحضرة وغاب عنها..

ولَمْ تشعرْ أميرة إلا بدمعةٍ تأبى أن تنزلَ وشعرتْ بأسى.. يا ليتها لم تقل أنك حبيبها، وتتساءل:- كيف هانت بهذه السهولة؟؟ وكيف استطاع بعد شهور وعند أول تصادم في وجهة العشق أن يقول لنفترق؟؟ وكثرت الأسئلة بداخلها وقالت في نهاية حوارها:- ليكن.. كأنكِ صارحتِ نفسك ولَمْ تسمعي أو تشكي إليه.. واستقر بها الحال..

سلمى:- ما دام هذا رأيه وسعادته فلتحافظي عليها.. هكذا العاشقون.. لايهم سعادتك، المهم الآخر.

أميرة قررت الرحيل إلى ما لا نهاية، لأن ما كانت تسكن من أجله غاب.. وإن كان في الغياب حاضر، لكنها لا تتحمل ألم الكلام..

ما أجمل العشق!

* * *

عاد وعادت معه البسمة والحياة وحلاوتها وبريقها ولمعانها، سألها لماذا حُزْن عينيك هذا؟ قالت:- ما أسهلَ الحزن في عيونٍ تعودَتْ عليه.. أجابت:- وما أسهل العشق أن يأتي ويذهب وقتما نشاء ويعود ويرحل كيفما تشاء..

قال لها أتقصدينني بهذا الكلام؟ إنني بعتُ هواكِ سهلًا.. لا يا حبيبتي أبدًا.. ولكن أخشى أن أسيء إليكِ يومًا وأجعلك تكرهيني..

أجابت أميرة بصمت طويل.. عاد سريعًا للكلام.. كيف أستطيع بعدما رأيت النور أن أعود للظلام؟ بعدما أحببتُ أن أكره؟ ومن أكره؟

هل نكره النسمة إذا تهادت إلينا؟ هل نكره مرآتنا إذا جعلتْنا أجمل؟ هل نكره الشِّعر إن كنت فيه أحلى قصائده؟ هل نكره السّهل إذا اشتدت بالصعب شدائده؟

أنت يا مَنْ ملكتَ الروح والفؤاد.. لا تسأل.. ولا تغب.. عد إلينا.. لشمس دفئك البعيد..

عد إلينا.. كطفل فرحٍ بثوبه الجديد.. عد إلينا كبسمة أمل لا تشيب..

عد إلينا متى استطعت، وقتما أردت.. لكن.. أرجوك لا تغب من جديد..

حبيبي أراك تمصرت، وأراني لبيتُ ما أبيت.. ذابت المشاعر بعدما تجمد قلبانا لسنوات كثلج لا يذوب..

اليوم.. مسافر وما أصعب اليوم الأول.. أن تشعر بغربة المكان ووحشته وهدوء النسمات.. يغيب عنك دفء الشمس، وتشعر ببردٍ قارص في ليالٍ صيفية.. ما أصعب أن تتنفس عطرًا واحدًا بقلبٍ واحد.. وترضى برؤيته من بعيد.. أن تشعر بأمان.. مادام ساكنًا بالمكان حتى لو اختلفت الأماكن، وكان الساكن غير الساكن.. لم نسلّم.. ولم نودّع.. لكن تواعدنا.. تلاقينا فالتقينا..

أميرة..

سألت الأشجار عن حزنها ما بك؟ أجابت:- غاب من كان يسقيني..

وسألت تلك الصديقة الوردة الحمراء مالي أراك ناعسة ذابلة تريدين الرحيل؟ أجابت:- ذهب من كان يرعاني..

سلطان كان في حواره نبرة صوت غير المهتم حينما تكلم مع أميرة، لكن كان مشغولًا مهمومًا بالعمل أو ما شابه..

سلمى:

- ترى هل يصدق القول أن البعيد عن العين بعيدٌ عن القلب؟؟ لا أريد أن يصدق.

أميرة بدأت تغار، تئنّ من الغياب، ويؤلمها وجع البعاد.. تأبى حتى العتاب، تشكو العذاب لكل شيءٍ

حولها.. باتت تشكو للملابس، والكراسي.. وتحدث كل أثاث القصر ربما يصل حنينها إليه.. غاب قيصر وملك روحها، لكن خشيت أن ينقصوا من خوفها عليه، لأن الجماد لا يشعر بحرقة الغياب وألم ذهاب الروح..

أميرة صارت آلة، جسدًا يتحرك، ولسانًا يتكلم، وعقلًا يتعلم في القصر الصمت والكلام، العقل والجنون، الابتعاد والاقتراب، لكن قلبها مسافرٌ، ترك جزءًا تحيا به والباقي مزق في الغرب.. فهل تشرق الشمس من الغرب وهل يغرد عصفورها داخل السِّرب؟؟ وهل وهل؟؟

سلمى ذهبت مع أميرة إلى مكان كانا معا وربما يكون المكان الأول الذي شهد تلك القصة المستحيلة، تقول أميرة لسلمى:

- كأنه معي طيف أحاكيه، كلما خطوت خَطَا وكلما ابتسمت ابتسم.. وكلما رسمت ارتسم.. كأنه معي وكأنه يوم كهذا اليوم وفي ذلك المكان كثير من الأشياء كوكب

في السماء راحت أميرة تبحث عن هدية ثمينة تليق بسلطان وكلما شعرت بأنها هي تقول:- لا.. يستحق أكثر وأكثر!

سلمى صرخت في وجهها:- هيا ليس لدينا وقت.

قالت لها:

- إذا انتهي وقت في الحياة فلأنه غائب عني لا لأني أحاول أن أهديه شيئًا يذكرني به إذا قدر لنا يوما فراق، لكن هذا يا سلمى «سلطان».. فإذن تفكري كيف تهديه ويحتاج منا الأمر أن نسافر ونسافر ونجوب العالم كرحلة طويلة حتى تأتي بما يستحقه، وفي النهاية سنجد أنه قليل.. قليل عليه أكثر أكثر أقل القليل عليه..

أميرة في ذلك اليوم لم تره ولم تتكلم إليه ولو بكلمة، ومر اليوم وكأنها غائبة أو بالأصح فاقدة للوعي، كانت تتكلم مع كل من حولها لكنها في عالمٍ آخر.. في وادٍ آخر

سكنها.. كان أصعب الامتحانات التي مرت عليها في حياتها.. رأت في نفسها الضعف الكامن في الحب، والقوة المرسومة في الدموع.. لا تجد سبيلًا آخر إلا «سلمى»..

أخذت أميرةُ سلمى وذهبا إلى ذلك المكان الذي كان سلطان يجلس فيه، كانت تتكلم مع سلمى وعيناها البنيتان ثاقبتان لكل ما حولها.. يقول وماذا بعد؟ إذا أتت لحظة الفراق وحتمًا ستأتي هل ستتحملين؟ وكيف وحتمًا ستتحملين؟

فإذا قُدِّر علينا اللقاء، حتمًا يقدر لنا الفراق.. هكذا الدنيا.. وحاولت سلمى أن تمسك بيديها وتضرب عليها بقوة وتقول لها:- لا عليك صديقتي.. إنك تعلمين أن القدَر أمر قُضِي وفرغ منه لا يستأنف فيه.. لذا لا تفكري بالغد فهو ليس ملكًا لنا، هو اليوم فقط.. لا تسألي عن غدٍ.. وإن غدًا لناظره لقريب..

في ذلك اليوم تمر أميرة بعاصفة قوية تكاد تعصف وتغير كثيرًا في حياتها، ولكن الحيرة في تنفيذ القرار.. وكانت المفاجأة..

* * *

عزيزي القارئ.. حتى لي شخصيًّا فلم تذكر أميرة أبدًا أنها متزوجة إلا بعدما وثقت بي ثقة جعلتها تسترسل معي في الحديث..

وفي الفصل القادم من القصة سنحكي عن زواج أميرة.. الفصل الخفيّ عن كل البشر ما عدا طرفي المعادلة وهو زوجها وهي. تردّدتْ أميرة من أين تبدأ، وتردّدتْ أكثر أن تحكي، وباتت تقريبًا لا تودّ أن تتكلم عن ذكريات مؤلمة ومهينة، بدأت بالتضحية وانتهت بالخيانة.

ولكنها امرأة على قدْر من العدالة والإنصاف، وأقسمت أنها لن تخفي خطأً اقترفته أو ذنبًا قد حدث

على القارئ.. حتى نتعلم ويتعلم بعضٌ ممن سيقرأون أن الحياة ما هي إلا تجربة ومسرح كبير كما قال الفنان الكبير يوسف وهبي في رواية لشكسبير..

تبدأ المسرحية في قصر من قصور الثقافة بالقاهرة، بفتاة تعشق الفن والكتابة والصحافة وتعلمت على أول من أخذها الخواطر تكتب بـ "الأهرام المسائي" د/ محمد إسماعيل علي

وبدأت الرحلة.. وفي يوم كهذا لعب القدر لعبته معها، صادفت شابًّا مثقفًا صحفيًّا كثير التناقضات في حياته. وبدأ اللقاء الأول بنقد د/ محمد.. ومن هنا بدأ الحوار، واختلفنا وكلٌّ منا بدأ (بدأتُ مدافِعةً وبدأ مهاجمًا).. وتجاذبنا أطراف الحديث، وبدأت قصة عجيبة من الطرائف، أمضينا سويًّا خمس سنوات. كانت مرآة أميرة مظلمة، وتوّجت بالرباط المقدّس.

أميرة تقطن في قرية بسيطة وأسرة بسيطة جدا، لكنها استطاعت بحصولها على درجة علمية أعلى من أيّ فردٍ في الأسرة وبثقافتها تغلبت على كل التقاليد والعادات الصعبة التي لا تسمح للفتاة بالاختيار لا في علم أو زواج. دراستها في الأزهر جعلتها يتأصل فيها الجانب الديني ويتعمق، ودراستها في الإعلام وعلمها به جعلها تتحرر وتتمرد على بعض الأعراف. ببساطة عزيزي القارئ كانت خليطًا ما بين هذا وذاك، ويصعب على كل آخر أن يصدق ويعقل أن لم يحدث خلط بين هذا وذاك.. كان الشاب أصغر منها بأربع سنوات ويتّسم بالوسامة والثقافة، ولكنها أبدًا لم تنظر إلى الوسامة بل إلى العامل المشترك والطموح والآمال والأحلام.

وسألتُها ماذا تريدين أن نسميه في تلك الحكاية؟ قالت:

- لن أظلمه لكنه "السراب".. إنه كالماء لا تستطيع أن تعيش بدونه، إذا أمسكت به في يديك تسرّب وتسرّب حتى انتهى.. فهو دائمًا ليس لك إلا في زجاجة أو كأس..

أميرة لا تنكر أبدا أنها عشقته، بعد عام من اللقاء بدأت تسهر وتحلم وتذهب وتأتي وتَقْبل وتمنع كأيّ عاشقة، لكن من هنا بدأ "وهم الحب الكبير".. عَمِلَ كلٌّ منهما في مجال الإعلام معًا، تقريبًا كانا لا يفترقان أبدًا إلا حينما يأتي موعد الذهاب إلى النوم يذهب كلٌّ منهما إلى منزله..

كان في البداية لا يهتم لأمرها إلا كزميلة يمكن أن يعتمد عليها في بعض الأمور، لكن بعد فترة ليست قليلة بدأها بكلام ما أحلاه! اعترف لها أنه يغار عليها ويحبها، تلك الأحداث عامة..

هي لها مبدأ في الحب: إن القلب دائمًا لا يتسع إلا لواحدة أو واحد، أما إذا كان الشارع يسكنه كل المارّين به فهذا لا يعني أبدا حبًّا، وكان على النقيض.

أحبته ولم تشرك قلبها بأحدٍ غيره، وتلك كانت معاناتها الأبدية. مرّ العام الأول وبدأت الكلمات تنساب من بين الشفاه سهلة.. شعرت بأنه يمكن أن يحبها هي فقط لأنها لا تقبل الخيانة أو التقسيم..

"السراب" كان يعرف فتاة أخرى بالإسكندرية، وحكى لها عنها، لكنه قال:- اليوم انتهينا.. وللأسف صدقت أميرة. وفي يوم كهذا اليوم أو كأنه هو ذهبا في نزهة معًا للإسكندرية، وإذا به يتركها لنصف ساعة، ولأنها تعرف مكان تلك الفتاة ذهبت إليها كزائرة.. لم يخطر في بالها أن تجد من أمّنته على قلبها وعلى عقلها بين أحضان تلك الفتاة..

تذكرت تلك اللحظات في أول اللقاء، أخذا يتقاسمان الإفطار معًا كل صباح.. وفي المساء يذهبون

إلى "زهرة السوسن" يشربون فنجان شاي ساخن كسخونة الليالي الصيفية، وقررت الانفصال والرحيل إلى الأبد كما قرّر هو ذلك في وقت سابق، لكن ليس لخيانتها ولكن لأنه سيقضي فترة تجنيد وأراد أن تنتهي الحكاية.

وذهبت أميرة لا تشعر بخطواتها على الأرض وكأنها ستفارق الحياة.. ومرّت الأيام وحاول بكل الطرق ذلك "السراب" أن يبعدها عن الرحيل، وحاول وحاول، ولأن الحب وقتها كان هو الحَكَم عادت وعادا بالحب معًا. كان دائمًا عندها أمل في التغيّر وأنها تكون الوحيدة في حياته لكن هيهات.. أرادت أميرة وعلى لسانها أن يكتب اللحظات الفارقة فقط وليست كل الحماقات والسخافات كما تسميها، وكيف تحملت رفض أسرتها لبقائها تنتظره دون ارتباط رسمي.. خرجا إلى الحدائق وذهبا معا إلى أرقى وأبسط الأماكن.. اليوم معًا في مطعم شعبي بسيط، وغدًا كنتاكي. اليوم في السينما وغدًا في الجريدة التي يعملان بها..

انتظرته فترة التجنيد وكان غائبًا حاضرًا بقلبها، أرادت أميرة أن تحتفظ بجزءٍ من القصة لا تريد التحدث عنه لكي لا يدّعي "السراب" أنها تنتقم في كلماتها تلك.. وأنا ككاتبة أحترم ذلك، ولكنها حين وثقت بي أكثر وأكثر قالت إنه كانت هناك قصة حب بريء إلى أقصى درجة في حياتها قبل "السراب"، ولكن انتهت بالفراق بسبب الظروف الماديّة، لكنها للأمانة قالت عن ذلك الشاب أنه صنع منها حبيبةً شفافةً بريئةً عاشت الخيال حتى اصطدما بالواقع، وأنها تُكِنُّ له كل احترام وتقدير.. تكمل الحديث وفي عينيها دمعة الحسرة على سنوات ضاعت دون أن تصحو من الوهم بالإصلاح، وفي غيابه تفتقده فإذا بها تسافر إلى كل مركز تدريب ذهب إليه.. مسافات طويلة ومسافات لكي تراه وتسافر وتسافر.. كانت لا تنتظر سوى تقدير المشاعر واحترامها.. لكن هيهات!

عاد في يوم وكان في زيارة لجريدتهما التي يعملان بها، وأيضًا ولمرة أخرى - باتت لا تعلم عدد المرات - بفتاة

زميلة أيضًا من الإسكندرية يذهب يقابلها ويخرج معها ويتحدث إليها كمحبّ.. وحينما علمت يقول لها:- أميرة حبيبتي أنت غير كل النساء.. أنت في القلب وهنّ مراهقة السن..

وتغضب وتثور، ولكنها محبّةٌ عاشقةٌ لا ترى سوى ضوء الشموع.. لا ترى بقايا الشموع بعد أن احترقت.. تسامح وتغفر وتمرّ السّنة وتعود بقلب حنون، ترى كانت مراهقة شباب أم طبع أصيل متأصّل وفكر لا تغيره السنون..

وإذا بعد وقتٍ ليس بطويل تأتي فتاة أخرى مثقفة، وحقيقة تقول أميرة أنها تحترم ثقافتها وبراءتها وتعتقد أنه استغل ظروف تلك الأديبة وعزف على وتر أن سنّ الزواج قد فات وهي تبحث عن حب بزواج، وجاءت الصدمة.. ليست الأولى، وهي أهداها هدية كانت أميرة قد أهدتها إليه وقصيدة كتب فيها كلام عشق ويا ليته

كان عشقًا.. وعاد يعتذر ويسلم ويقسم ويأتي بالأعذار وما أكثرها.. وما أسهلها..

وتقول أميرة سامحته من أجل حبّي وأملي أن يأتي يومٌ يتعلم أن الحب قدّر لواحدة فقط أو واحد فقط وليس لكل الساكنين!

لكن أميرة في تلك اللحظة شعرت بأن قوة تحملها بدأت تضعف ولا تستطيع الاستمرار معه بهذا الشكل، بدأت تمحي نظرية آمنت بها، هي الحب من أجل الحب سواء انتهت بالزواج أم لا، وللأمانة تقول أميرة ليس هو السبب وإنما حبها وعشقها للعمل الإعلامي بدأ يعوضها بعض الشيء، حتى بدأت لا تفكر إلا في نجاحها العلمي والإعلامي فقط.

وبرغم صعوبة ومشقّة ذلك العمل إلا أنها كانت وما زالت تستمتع برغم كل الصعاب.

عشقت الصحافة حتى أكثر من صحتها ونفسها وتعتقد أنها خطت خطوات لا بأس بها في ذلك المجال وقد أكمل "السراب" فترة التجنيد وجاء دوره كي يقوم بخطوة عملية إن كان يحبها.. جاء إليها وقال:- مسافرٌ أنا حبيبتي، تنتظرين؟

قالت:

- سأنتظر لكن إن تزوجت وأنت مسافر أبلغني لأحرق آخر الأوراق..

وكانت أسرتها تعلم به، وسألوها كثيرًا حتى ملّت السؤال إلى متى تنتظرين؟؟ وجاء دور كلّ من في العائلة بعريس جاهز وابن ناس وغنيّ و و...

وترفض أميرة وتصر.. حتى جاءها هاتف دوليّ يقول لها بعد عام تقريبًا، كانوا يتواصلون عبر الهاتف وأسرته والرسائل..

وكان كثيرٌ من أسرته يريدون له عروسًا أخرى ويسعون بكل الطرق إلى هذا، وبرغم ما فعلته أميرة من مجاملات لا تحب أن تخوض فيها إلا أنهم يرفضونها، لكن هو أصر على اختياره، وتمسك بها كثيرًا وقال لها:- حبيبتي هل تقفين بجانبي مع التزامات الزواج حتى تتغير الأحوال؟

أميرة:

- نعم حبيبي.. لا عليك، فأنا أريد فقط أن نكون سويًّا، لا أريد مالًا أو جاهًا أو سلطانًا غير سلطان هوانا (بداية التضحيات بالإرادة من أجل الاستقرار والحب).

لم يحضر من أجل الخطوبة، أرسل إلى أميرة أهله.

بعدما ذهبت هي إلى أخيه ليعطيها ثمن الدبلة، وتذهب هي وأمها وتشتريها وتأتي أمه في اليوم الثاني وتلبسها إياها.. واتفقا على عام خطوبة..

وإذا بمرور شهرين يتصل ويقول سيتم الزواج، و كأيّ فتاة وخاصّة وهي شخصية عامة لها معارفها وعالمها تريد عُرْسًا وفستانًا أبيض و و...

لكن يأتي أغرب ما يتخيله بشر، أن يقول لها تعالي إلى هنا بدون زواج ومعك أخوك ونتزوج هنا.. لكن إن قبلَتْ حتى هي فلن تقبل العائلة وهي لم ولن تقبل.. ثم قال لها لن أستطيع المجيء. قالت:- لا، إن لم تأتِ فلا زواج، فالزواج لها يعني تتويجًا لرحلة خمس سنوات من المعاناة في الحب من أجل الحب.. لا بد أن تأتي..

وبعد حوار وحوار جاء، وبعد جدال الطرفين كما يحدث في أيّ عُرْس.. اتفقا.. وجاءت كتابة العقد عند المأذون وكان ذلك الرجل البشوش، المحبّ للخيْر.. تملأه ابتسامة، وكأنه يعلم بأن تلك العروس وذلك العريس اختارا وعاشا وتصالحا وتخاصما وغضبا وابتسما وفرحا وحزنا حتى صارا كالواحد.

وسألها:- من توكلين؟ قالت:- نفسي. وسأله:- من توكل؟ قال:- نفسي. وكانا معًا على كل تقليد.. تتلامس الأيدي وينظر بعينيها اللتين لم يعرف لونهما إلا بعد مرور ثمانية شهور من علاقتهما، وتردّد هي أقوال المأذون وعيناها تنظران إلى الوسادة الفاصلة بينهما، ويداه بيديها، ويأتي دوره فيمسك بيديها وينظر إلى عينيها.. ويطلب الرجل منه أن يردّد، فيغوص في عينيها غير مبالٍ بكل من يجلس بالقاعة، ويكرر الرجل عليه الكلام حتى يلحظ، فيردّد ويقول لها:- انظري إليّ! أنا من أحبّك وعشقته، ومن جاء اليوم يفي بوعده وعهده معك غير مبالٍ بعادات وتقاليد الرجال الشرقيين، إن عرفوا وأحبوا وتأملوا الفتاة قبل الزواج تركوها وتزوجوا بأخرى.. حبيبتي أنا غير كل الرجال.. وهذا العقد ثابت وخير دليل ذلك..

وتتنفس أميرة نفسًا عميقًا.. وألحظُ في عينيها سؤالًا معاتبًا عقلها الغافل، وقلبها المحب..

وتكمل..

كانت حزينة على خطواتها الأولى ورحلة ثلاث سنوات إعلامية، بدأت تكوّن اسمًا وعلاماتٍ وسمعةً وسيرةً جيّدةً، وبدأت بإجراءات السفر وهي تودع مصر للمرة الأولى، وشعرت بأن روحها تستقر بمصر وعقلها وجسدها ينتقل إلى ذلك البلد الثاني..

وتقول قبل أن أبدأ عن رحلة الزواج:

- أريد فقط أن أقدم اعتذارًا لكلّ من حاول يومًا من قريب أو بعيد أن يوضح لي الصورة وينصحني حتى لو كان الغرض سيّئًا، فأنا مدينة لهم جميعا باعتذار وكلّي أمل أن يقبلوه مني.. لأنني وبعد مرور ثلاث سنوات تيقنت أنهم هم الصواب وأنا من كنت غائبة عن الوعي لمدة ثماني سنوات من أجمل سنوات عمري.. وإن كنت أحبّ أن أمحو ثلاثة منهم وأسقطهم من ذاكرتي.

أراها اليوم انتهت من نقطة بدايتها من أول عام زواج، كانت الحياة شفافة ورقيقة وهادئة كالخمس السابقين، اكتشفت في اليوم الأول أنه لم يسافر أصلًا إلى إيطاليا، زعم ولم يزرها قط، وأنها لن تسافر لأنه بالطبع لم يسافر.. وتقبلت ذلك بقلب الحبيبة ولا يمثل لها فارقًا، فأيّ بلد لا مشكلة.. الأهم أن تكون مع حبيبها وزوجها.

لكنّ أسرتها أبلغتها أن هذا خداعٌ، وما كان عليها إلا أن تلطف الأجواء وتقبل الاستمرار وتتحمل.. وعاشا معًا العام الأول في هدوء واشتعال العواطف و شوق المشاعر، حياة زوجية يملأها الاستقرار والشفافية، على الأقل أميرة تقول من ناحيتي..

كانت تسعى لتكوين عشّ صغير يجمعها:- شقة وأثاث بسيط لتستمر حياتهما وتنتقل داخل هذه البلد كثيرًا من مكان لآخر.. وعملت هي في مجال التعليم، حتى جاء العام الثاني وانتقلا إلى مدرسة خاصة

وعملت هي فيها معلمة بالثانوية وتقول كم كانت تكره التعليم، لكن صعب أن تعمل بالإعلام في هذه البلد، فكانت لا بد أن تستسلم إلى ما لا تحب حتى تعود إلى ما تحب. ومرّت شهور وهما يعملان، وجاءت صدمتها الأولى وتعتقد أنها الأخيرة في يوم عاديّ جدًا، وجوّ هادئ، تقوم من نومها في السابعة صباحًا، تأخذ الشاي وتستعد للحصة الأولى، وإذا بها يقع في يدها مظروفٌ يُكتب عليه رسالة.. وتقرأها..

عزيزي القارئ، أحبّ أن أصوّر مرارة اللحظة في ملامحها وصوتها المكتوم وعينيها الحزينتين وألم رعشة يديها ورجائها أن تأخذ استراحة لتعود إلى الكلام في وقت آخر، حتى تلملم ألم اللحظة وتذكرها، وتعود أميرة بعد لملمة جراح الذكريات وتواصل.. قبل أن تقرأ.. ثار وغضب "السراب" بشدّة وقال إن هذا المظروف خاصّ بأخيه مرة، ومرة أخرى خاصّ بابنة أخته، وتَوَاصل الكذب، وانفعلت.. تتوقف أميرة وتقول:- يكفيني حديثًا عن هذا العابث، يحلو لي أن

أحدثك عن "سلطان".. فهل تسمحين لي:- قلت لها نعم. وكيف أجرؤ على الرفض عن سر أسرار الحياة وهو الحب؟!

تقول:

- كنت أظن واهمةً أن أرحل عنه وكأنه نظرة عابرة، لكنني مررت بأصعب اللحظات وكثير من الليالي المظلمة حينما ابتعد وابتعدت..

تقول:

- إن خطوت عبر النيل الأزرق وجدته يرافقني، وإن ابتسمت كأنه يشاركني بسمتي، وإن ذرفت دموعي على الغياب كأنه يمسح على وجنتي برفق المحب ويقول لا عليك..

هكذا القدر، كان غائبًا لكنه معي حاضر دائمًا، كانت تراه في وجوه البشر وتبحث عنه ليلًا في ضوء القمر، كانت تريد فقط البقاء لأجل لحظة اللقاء،

وبعد مرور أيامٍ وليالي كثيرة لم تعرف عددها التقت به.. مالي أراه بعيدًا أو يريد الابتعاد؟؟ ترى ماذا به؟؟

أراه أو بالأحرى أحسّه بعيدًا بعيدًا، ولا عجب في ذلك ولا يحقّ لي حتى أن أعاتبه على ذلك.. لكن لا تعنيني مأساة قلبي من ذاك الألم.. كان اللقاء خاطفًا عابرًا، وبدأتُ أسلم، وكانت رعشة يدي حينما تمتد إلى يديه تبكي، تئنّ.. على كل حالٍ ليس في الإمكان أكثر مما كان..

تكمل أميرة.. آسفة.. متحسرة.. متألمة على سنوات عمرها التي مضت ولم تلتقيه، ومتألمة أكثر على ما تبقى لها في الحياة إن كان فيها أيام أو ساعات أو لحظات تمر بدون أن تراه.

لكن قالت عبارة برغم بساطتها إلا أنها تعبر عن مدى عشقٍ بلا غرض، بلا هدف، معك حبيبي ترضيني كل الأشياء، يكفيني أن أتنفس نفس الهواء وتظلني معك نفس السماء، يكفيني رؤياك صباحًا ومساءً.

سلمى:

- ماذا بك يا أميرة؟ أراك شاردة العقل اليوم.

أميرة:

- حالي حال ولا أعلم ماذا أريد؟ إنني حائرة يا سلمى. إذا كان هذا حالي في غيابه أيامًا.. فأنا لا أتذوق طعامًا أو شرابًا.. حتى النوم تركني وعيوني ساهرة تفكر فيه، فماذا إذا غاب عنّي للأبد؟ ماذا أفعل؟ وكيف ستكون حياتي؟

سلمى:

- هذا قدرك، فإما أن ترضي وترتضيه أو ارحلي، وتألمي ساعة أو يوما خيرًا من أن تتألمي العمر كله بعد ذلك.

وتوقفت أميرة وقالت:- إنني أتعذّب يا سلمى.. قلبي ينزف في اليوم آلاف المرات، ليس لغيابه فقط، بل

لإهماله لي وقسوته علَيّ.. لم يترك لي كلمة تطمئن قلبي الحائر.. منذ عودتي للقصر أراه بعيدًا.. أرى أن هناك شيئًا يخفيه.

سلمى:

- إن عودتك ليست عودة إليه بقدر ما هي عودة إلى حبك النابض.. وسواء ابتعد أم اقترب فهو قريب إلى قلبك كلما طال ابتعاده قبل اقترابه، فلا تيأسي واهدئي.

أميرة:

- كيف أهدأ وأنا قلقة عليه؟؟ أنا لا أريد سوى أن أطمئن عليه فقط ولو بكلمة. لماذا تركني هكذا؟

هل تعلمين يا سلمى؟ إنني كريشة معلقة في جدران صمت رهيب.. وددت لو سألت عنه كل العاشقين ولا أخشى شيئًا.. لكن خوفي عليه هو الذي يمنعني.. وإن كان العذاب يشتد كل يوم أكثر..

سلمى:- أنا لا أحب أن أراك ضعيفة مستسلمة إلى الألم والحيرة هكذا.. اعتبري نفسك لم تقولي شيئًا وهو لم يسمع شيئًا..

أميرة:- يا ليته لم يقلْ شيئًا ويا ليت قلبي لم ينبض بسرّ أسرار حياتي وهو حبّي له.. ربما عذاب قلبي كان اليوم قليلًا. ثم تبتسم أميرة بسمة هادئة حالمة.. خيالية بعيدة عن الواقع وتقول:- بالأمس كنت أنظف حجرته، وأرتب له قمصانه، ورأيت له صورًا وبعض قصاصات الورق. كنت ولأول مرة راهبة المكان، لذا كنت حريصة دائما على عدم اقتحامي لتلك الحجرة، لكن دخلتها بالأمس في غيابه.. وشعرت بدفء المشاعر والإحساس ولا أخفيكِ سرًّا يا سلمى.. شعرت بسعادة بعد حزن وراحة بعد ألم وهدوء بعد شرود وثبات بعد بركان، وشعوري بأنه يودّ نهاية ما بيننا ورؤيتي برحيله.. شعرت أنه قريب، ولم أحزن وارتضيت الواقع حتى لو كان فيه بعض المرارة.

سلمى:- هل تخافين يا أميرة من نفسك أو على نفسك معه؟

أميرة:

- ماذا تقولين؟! لا بالعكس، معه أشعر بالأمان على نفسي.. وأشعر بثقة في نفسي أكثر.. وأنا أبدًا لا أراه كذابًا أو يهوى تمثيل المشاعر والأحاسيس.. لكن لماذا تقولين هذا؟

سلمى:

- لأنني أراك تذوبين فيه وكأنكما خليط لا ينفصل كفنجان قهوة، وهذا واضح في كلامك.. وأخشى أن عشقك له يضعفك يومًا ما.

أميرة:

- لا أبدًا، إن حبه وعشقي له يزيد من عزيمتي وإرادتي، ويعطيني قوة فوق قوتي أن أحميه وأرعاه

وأحافظ عليه حتى يكون سعيدًا دائمًا.. فهذه هي غايتي حتى لو كان مع غيري ولغيري.. فأنا فقط أشقى بسعادته وراحة وهدوء باله.. وإن ضعفت يوما تأكدي سيكون ضعفًا عقلانيًّا، فأنا أقصى أحلامي رؤيته وأن أطمئن عليه، وإن كنت أخشى على نفسي مع كل الناس فمعه هو الأمان، ويكفيني أنه في ليلة قمرية تحت سماء القاهرة لم يحاول أن يلمس يدي احترامًا لمشاعري.

سلمى:

- إنه يبتعد عنك ويعود كما كان ولا أحد يختلف على ذلك.. فهذا واضح تماما، فأرجوكِ لا تخدعي نفسكِ.

أميرة:

- نعم سلمى.. سبقني وعاد حيث كان، وبرغم ألم الرجوع والابتعاد عني إلا أنني سأحاول التعوّد وسأعود كما كنت، وأتركه كما كان.. لأن هذا واقع أردنا الهروب منه للحظات فلم يمهلنا الدهر إلا تلك اللحظات..

فليعد هنيئًا له ولكن.. أقول له:- سيبقى الحب.. ساكنًا بقلوب العاشقين إن تفرقت الأبدان، وتبدلت الأفراح أحزانًا، وصارت الذكرى نسيانًا.. يبقى عشق لا يغيب، عشق لا يشيب.. عشق المكان.

عزيزي القارئ..

هذه القصة جزء من الخيال وبعض من الحقيقة، لكنّ أهم الحقيقة فيها هي مشاعر وعشق أميرة لسلطان هواها.. أما سلمى فهي ليست صديقتها، بل هي نفسها، كانت أحيانًا تحاكيها.. فلا يوجد عندها صديقة تُسمّى سلمى أبدًا، وتودّ أميرة أن تتقدم بخالص التقدير والشكر إلى من جعل لسانها يتكلم بالحب وقلبها ينبض بالحب وعيناها يسكنهما الحب من خلال الكاتبة.. فالحقيقة هي أوصت بأن أحمل له أول نسخة من القصة بعد الطبع، وإن كنت لا أعلم هل يمهلني القدر تحقيق هذه الوصية أم لا؟

ولكن قالت:

- إن تعذر عليك هذا فأهديه وردة حمراء تعبّر له عن مدى عشقي له..

* * *

الخاتمة

عزيزي القارئ..

أتمنى أن يصلك كل هذا الإحساس الصادق والحبّ العفيف الخالص من كل رياءٍ أو كذبٍ أو خيانة، إنه حبٌّ من أجل الحب..

لذا أتمنى أن ينال رضاكَ، وإن رأيتني أخفقتُ أرجوكَ لا تلمني، فالحياة ليست مسرحًا فقط وإنما حقل تجارب دائما نتعلم منه أن نسير نحو الأفضل، ونتقدم دون النظر إلى الخلف.

زهرة البنفسج

تعثّر القلم كما تعثرت أميرة في تواصل الكلمات، لكن تعود لتكتب ما تمليه علينا تلك الفتاة وتقول:- صدمت ولم أتوقع في يوم ما أن أكون في مثل هذا الموقف، وخاصة أنني لم أفعل شيئًا ليكون ذلك رد فعل، أو زرعت ثمرة فجنيتها، كانت حياة جميلة هادئة مستقرة نتمتع فيها بروح الحب وشفافية العلاقة الزوجية الصادقة.. تقول:" كانت ثورتي الغاضبة فوق تحمل عقلي، ذهبت إلى صديقة لأضع بين يديها روايتي وأقول لها إنني لن أعود إليه وسأنفصل لأنه كذب وتمادى وضعف وجرح وأخطأ وسمح لقلب مثل قلبي إن أحبّ أحبّ وإن تحوّل تحوّل أن يجرحه دون تفكير"، وغادرت البلاد مع قرار الانفصال دون قيد أو شرط، لكن تذكرت كيف ضحّيت وعانيت بأشياء كانت حلمًا لكل عروس من أجل حبي، ولم يحترم مشاعري في النهاية.. لكن إلى من جعلتْني أتحمل قسوة المعاناة وأسير في درب العادي والتقليدي.. إلى من أعطتني أمل

الاستمرارية.. اليوم جاء يا أمي فلم أعد أستطيع، وهل يمكن يا أمي أن نعيش مرتين أو عمرين أو حياتين؟؟ أم هي حياة وعمر مرة واحدة أم ماذا؟ هي أمي من أعادتني وواعدتني أن الرجال دربٌ يصعب على كل النساء أن تسلكه، فلا بد أن تكوني ككل النساء إن أردتي البقاء في ظلّ رجل.

وعُدْت.. واستمرت الحياة، لكن للأمانة كانت كتقليد من ناحيتي، فقد دُفن الحب حينما كتب المظروف باللون الأحمر وكأنه لون الذبيح، ولم تطل المدة كثيرًا، ففي نهاية نفس عام العودة.. شاهدتْه بعينيها وسمعتْه بأذنيها واحتقرتْه بقلبها وعقلها، إذ حاول تقبيل طالبة عندها.. وكانت صدمتها برغم الاشمئزاز أخف وكأنها في مستوى العادي، كان كل من حولها يرقبها بنظرة الشفقة على تلك المسكينة المنخدعة التي لا تستحق رجلًا كذلك الرجل، كانت تراهم يتهامسون:- لماذا تبقي على من لا يستحق البقاء؟ وإذا بزميلة تحاورها وبصراحة:- الكل أميرة يتكلمون

عنك، ضعفك، استسلامك.. لم تكن تعلم أن الضعف ليس ضعفًا وإنما اغتراب المكان ووحشته ووحدته يجعلك لا تواجهين الصخر إلا إذا رأيت شاطئًا أو مَرسى.

لذا التزمت الصمت، وبعد أن شعرت بجزء الأمان المفقود أراد الاعتذار، لكنه عندها صامت بلا أعذار، بلا مبررات أو أكاذيب أخرى، فإلى متى ستتحمل وإلى متى تفكر في سعادة من حولها وتنسى نفسها في عتمة الأقدار.. وأخذت موقفًا وطالبت بجزءٍ من حقّها الشّرعي في مسكن الزوجية، ولكنه رفض، وللأسف قبلتْ بنوعٍ من التعويض المادي كنوع من العقاب على أمل الإصلاح أو التغيير، لكن لا.. لن يتم إصلاح في أرض بور وشجرة سُقيت بماء الأنانية وحبّ الذات والغايات المادية دون تقدير لأيّ مشاعر أو أحاسيس..

ومرّت الأيام وتواصل أميرة رحلة الوهم الكبير الذي عاشت من أجله سنوات من أجمل سنوات العمر حتى بذكرى الألم التي فيها..

وتتكرّر ويتكرر اليوم والليلة.. مرّة ثالثة وكأنها على موعد دائم من كل عام (كشف خيانة)، ولكن تعترف أنه في تلك اللحظة لم تعد تريد عقابًا أو ثوابًا ولا عندها دافع للإصلاح، فقدت الأمل به وكان هناك الرسالات التي كلّما قاربت على مصالحة نفسها، تأتي أشياء تثقل قرارها وتؤجل التنفيذ، وبعيدًا عن قلبها المتعلق والعالق كورقة شجر الزيتون التي تحاول الصمود إذا أخذت منها العواصف ثمارها وبعثرتها، وتناثرت كحبّات المطر، لذا تعتقد أنها حقًّا تنوي هذه المرة الرحيل.. قالت ربما في المرات السابقة كانت سببًا هي أيضًا، فلتشاركه كلّ ما يحب وتعطيه حريةً في التعامل مع الأخريات. ولأنه في اعتقادها لن يتخلى عن ما تأصل فيه.. الإمالة والإيماءة لكل من تداعبه بحلو الحديث، وإذا بها تراه وتعلم أنه حاول التعرّف إليها

وتكلم أمام عينيها ومن خلفها.. لا يبالي بمشاعر الزوجة بعد وفاة مشاعر الحبيبة بسبب حماقاته ونزواته.

عزيزي القارئ..

سمعت من أميرة كلامًا، حقيقة أتعجب من فكرها، رغم بساطتها في حديثها، ملابسها، وهدوء ملامح وجهها، ورومانسية عينيها.. إنها إن يومًا رأته يعشق حقًّا كانت ستسامح وتغفر.. ولا أخفيك سرًّا عزيزي القارئ؛ ظننت بها للحظة سوءًا.. ربما تقول هذا لأنها أحبت فأرادت تعاطفك معها، لكن.. اقتربتُ إلى "السراب"- وهو الحبيب الميّت والزوج العابث بكل تقليد - منذ الوهلة الأولى فوجدته يؤكد ما عبَّرَتْ عنه.. وذكرت شيئًا أغرب من الواقع كأنه خيال.. إنه عند عقد قرانها قبله بيومين جلست معه، وكأن إحساسها الداخلي يستجديه بألا يفعل وقد فعل، قالت أميرة:- إن أردتُ يوما حبًّا غير حبي وسكنًا غير سكني وقلبًا غير قلبي وكان حقًّا حبًّا، لتخرج من حياتي بسلام واحترام

لكل منّا.. وأعلِمني، وسأكون راقية وأنسحب في هدوء. وأعود لأميرة وأسألها عن تلك الواقعة ومدى تأثيرها اليوم عليها فأجابت:- كلما تذكرت كلماتي، ولأكون صادقة، رجائي الوحيد قبل عقد القَرَان، الإخلاص والشفافية في التعامل، وإذا حدث غير ذلك من أجل امرأة أخرى سأنسحب.. أتألم من نفسي ولنفسي، لأن في كل لحظة خائنة لم يقل لها كانت الأقدار تسوقني لأعلم.. وفي كل مرة لا يقدم اعتذارًا أو أيّ نوعٍ من اللاعودة بل بالعكس كان قانع الفكر، مليئًا بالإحساس أن هذا لا خيانة فيه، وأعتذر منك، إن الخيانة من وجهه نظرة هي ما وصلت إلى المعاشرة الكاملة كالأزواج، ما عدا ذلك فهو لا يكون خيانة أبدًا.. أتدري؟ لو أنك تسمحين لي بأن أحكي إليك بعض العجائب؟

سلمى:

- تفضلي.

أميرة قال لي يومًا:"أنا لا أراك في فستان زفاف أبيض فأنت لا تحتاجين إليه، هكذا استمرت حياتي معه، وُعودٌ وكلماتٌ وسراب، حتى جاءت لحظة النهاية واتخاذ قرار الانفصال الأبدي..

عزيزي القارئ.. ارتعش القلم وتوقف لأنها أرسلت شرارة وشعلة من النار على قصة وَهْم الحب الكبير، ثم أكملت: "بدأ يسُبّني ويضربني ويحاسبني، ولم أعد أتحمل فقررت الانفصال نهائيًّا". وتنهدتْ بمرارة وقرّرت الرحيل عن سلطان نهائيًّا، وأقسمتْ إن هذا من أجل عشقها له، وقرار انفصالها لأنها تريد أن تستعيد حياتها وحريتها وكرامتها التي بعثرها "السراب"، وإنّ قصة عشقها ليست السبب في قرار انفصالها.

* * *

عزيزي القارىء

تقوم عملية القراءة على الوعي بالذات واللغة، ولا يتم ذلك دون ثقافة (قرائية) تحاول أن تساهم دار ليان للنشر فيها، في سبيل التقريب بين المؤلف والقارئ. لذلك لست متلقيًا للإبداع الأدبي والفني فحسب، ولا قارئًا لرموز لغوية ذات أبعاد إنسانية فقط، بل أنت (حلقة الوصل).

حلقة تكتمل من خلال قراءة الإبداع؛ لأن الإبداع-في نظرنا- هو المشاركة الفعلية والسامية بين كاتب يبحث عن الحياة من خلال الأحرف، وقارئ مطّلع ومتعدد الرؤى يهفو إلى فنيَّات اللغة ورسالتها الإنسانية. مع إيماننا بأن الكاتب الجيد هو قارئٌ نهم، والقارئ النهم مشروع كاتب جيد في المستقبل القريب، وهذا دورنا وننتظرك عزيزي القارئ لتحول رؤيتك إلى رؤية بين ضفتي كتاب من إنتاج ليان للنشر والتوزيع.

تنطلق رسالتنا إذًا، من خطوة المشاركة بين طرفي الإبداع وجناحيه: المؤلف وأنت.

ولا تكتمل عزيزي القارىء العمليةالإبداعية والقراءة الصحيحة للإنتاج الفكري-بأبعاده الفنية- دون طيفك كقارىء وأنفاسك كناقد وبحثك عن الإبداع كذوَّاق. ولسنا إلا خطوة الرقي الحضاري الأولى،

التي تبحث عن الارتقاء بالإنسان العربي وفكره، وتطوير ملكات المبدع والقارئ عبر تشجيع النصوص الرصينة، ولغتها السليمة الموروثة عن الأجداد والحاملة لأسمى الرسائل الإنسانية.

لنا، وإن فشلنا فعذرنا أننا من أنصار عشق البدايات ودعم أصحاب المواهب الشابة في الخطو نحو النشر في أولى أرهاصتهم الأدبية، ورؤيتنا أن دورنا الرئيسي ينصب على التمهيد المدفعي للكاتب في خطواته الأولى وإقامة العديد من الجسور الصحفية والأدبية والتعريفية بين الكاتب الشاب والوسط الثقافي والقراء ككل.

حلمنا الكبير هو الانتشار الكبير للمواهب الشابة في الأدب المصري والعربي، والباب مفتوح للجميع، وعلى من يرغب في النشر معنا مراسلتنا على النحو التالي:

fathy66666666@yahoo.com

layanpub@yahoo.com

layanpub@gmail.com

لبان للنشر والتوزيع

فتحي المزين: 056 01282288